حكايات نحبها جميعاً

(١٧)

هنيئاً لك يا أمّ معبد

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

إِنَّها المُسَاوَاةُ الحَقِيقيَّةُ!!

وَصَلَ خبرُ مَرَضِ (هِندٍ) إلى صَدِيقتهَا (نَاهِد).. فَحَزِنَتْ لِذلكَ ، ثُمَّ أَسرعَتْ إِلَىٰ الهَاتِفِ لِتطمَئِنَّ عَنْ صِحَّتِها وعافِيَتِهَا..

لكِنْ لمَّا سَمِعَتْ أَجوبةَ أُخْتِهَا عَبرَ الهَاتِفِ ، فَهِمَتْ مِنْ خِلال ذلِكَ أَنَّ مَرَضَهَا شَديدٌ وقَوِيٌّ.

فَرَاحَتْ تَتَّصِلُ بِصَدِيقَاتِهَا.. وَكَانَ الاتِّفَاقُ النِّهائيُّ عَلىٰ أَنْ يَزُرنَها فِي سَهْرَةِ يَوْمِ الغَدِ ، لكِنْ شَرِيْطَةَ أَنْ لا يَكُونَ هُناكَ مَانعٌ صِحيٌّ.

وَبِالفِعلِ ، تَوافَدَتِ الفَتَياتُ عَلىٰ بَيتِ

(نَاهِدٍ) ، وكَانَتْ كُلّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ تَحمِلُ هَديَّةً مَا..

وَلَكِنَّ (نَاهِد) كَانَتْ تَسيرُ فِي صالونِ البَيتِ.. تَغْدُو وتَعُودُ. وكأنَّها تَحمِلُ فِيهِ هَمّاً ما.. وَكَانَتْ صَدِيقاتُهَا يَنظرنَ إليهَا نَظَرَ تَعجُّبٍ!!

فَقَالَتْ (مَيسونُ): ومَا الذي جَرَىٰ لَكِ يا نَاهِد..؟ لِمَاذا لا تَجلِسينَ مِثْلَنا؟!

أَجَابَتْ (نَاهِدٌ): لَقدِ اقتَرَبَ المَوعِدُ وَلم أَشْتَرِ بَعدُ أَيّةَ هَدِيَّةٍ؟!

ضَحِكَتِ الصَّدِيقاتُ مِنْ قَولِهَا.. ثُمَّ قالَتْ (رَجاءُ): وَهلِ المُشْكِلَةُ أنَّكِ لا تَمْلِكينَ النُّقودَ؟!

قَالَتْ (نَاهِدٌ): لا ، إنَّما المُشْكِلَةُ هِيَ أَنَّنِي لَمْ أَختَر بَعْدُ نَوْعَ الهَديَّةِ التي سَأَشْتَرِيْهَا وَقَدْ خَطَرَ بِبَالي أَنْ آخُذَ عُلْبةَ شُوكُولاتَه ، وهذهِ صَدِيقتُنا

(رَغداء) أَخذَتْ مِثلَ ذلِكَ ، أَوْ آخُذَ باقَةَ وَردٍ.. وهَذهِ (مَيسونُ) قَدْ أَخذَتْ وَرْداً.. فَمَاذا سآخُذ يا صَدِيْقَاتِي؟!

وسادَ صَمتٌ مُطْبِقٌ.. لكنَّ صَوْتَ (مَيْسُون) قَطعَ ذَلِكُمُ الصَّمتَ.. فَقَالَتْ: لَديَّ فِكْرَةٌ عَجيبَةٌ!

قالَتْ (نَاهِدٌ): هَيَّا أَخبرِينَا بِفكْرَتِكِ ، فأَنْتِ صاحِبةُ الأَفكارِ دَائماً ، أَبداً ، وقلَّما نَكُونُ في مَجلسٍ أَوْ سَهْرَةٍ إلاّ ويكُون لديكِ اقتراحَاتٌ.. ، ولكنَّ الحقَّ يُقالُ: إنَّ غالبيةَ اقتراحاتِكَ مُفِيدةٌ.

وَسارَتْ (مَيسونُ) خُطُواتٍ إلى الأَمامِ ، ثُمَّ اتَّجهَتْ نَحْوَ صَدِيْقَاتِهَا وأَخواتِهَا وقالَتْ لِنَاهِدٍ: أَقتَرحُ عَليكِ أَنْ تأْخُذِي لهَا كِتاباً أَوْ كِتابَينِ ، فَكُلّ أَنواعِ الهَدَايا تَفنَىٰ بَعدَ فَترةٍ وَجِيزَةٍ ، فإِمَّا أَنْ تُؤكَلَ ، وإِمَّا أَنْ تُكْسَر ، وإِمَّا أَنْ تُتْلَفَ ، وأَمّا هديَّة الكِتَابِ فَيبقَى كَثيراً ، وَينْتَفِعُ بهِ مَنْ أُهدِي

إليهِ الهَدِيَّةُ ، وكذلكَ أُسرتهُ وكَثيرونَ أيضاً ، وَيبقَىٰ ذَلِكَ العَمَلُ العِلميُّ النَّافِعُ فِي صَحائِفِ الجَميعِ ، خَاصَّةً فِي صَحَائِفِ الذي أَهداهَا وَفِي صَحَائِفِ الذي أُهْدِيتْ إليه.

وَبِالفِعلِ ، انطَلَقَتْ (نَاهِد) إِلَىٰ مَكْتَبةِ الحَيِّ ، واشترَتْ كِتَاباً ضَخْمَاً عُنوانهُ: النِّساءُ شَقائقُ الرِّجالِ! يتحدَّثُ عَن النِّساءِ وموقعهنَّ فِي المُجْتَمَعِ ، وعَنْ تَحريرِ المَرْأَةِ وعَنِ المُساوَاةِ بَيْنَ النِّساءِ والرِّجالِ وما إلىٰ هُنالِكَ.

وَهكَذا انطَلَقَتِ الفَتَياتُ إلىٰ بَيْتِ صَديقتهنَّ (هِند) ، وَهُناكَ استَقْبَلَتْهُنَّ والدتُهَا.. وَأُختُها وَأخوَاتهَا الصِّغَار.

وَفِي غُرفةِ (هِنْد) جَلَسْنَ حَولَ سَرِيْرِهَا.. وَسَأَلْنَ اللهَ لهَا الشِّفاءَ والعَافِيَةَ ، وَقَرَأْنَ عَلىٰ نِيَّةِ الشِّفاءِ بِضْعَ آياتٍ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ وَالذي

أَنزلَ اللهُ فيهِ الشِّفاءَ للنَّاسِ ، كَمَا قالَ سُبحانَهُ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

ودَخَلتْ وَالِدَةُ (هِنْدٍ) وَهِيَ تَحمِلُ الحلويَّاتِ وَإِلىٰ جَانِبهَا ابنتُها الصَّغيرَةُ وَبينَ يديهَا أَكوابُ الشَّرابِ البَارِدِ.

وَرحَّبتِ الوَالِدَةُ بِصَدِيقاتِ ابنَتِهَا.. وقالَتْ لابنَتهَا (هِندٌ): إِنَّ نَجْمكِ سَاطِعٌ ، وصدِيقاتُكِ يُحْبِبْنَكِ كَثِيراً.. وأَسأَلُ اللهَ تعَالَى أَنْ يُديمَ عليكنَّ رِباطَ المَودَّةِ والمَحبَّةِ.

وَبعدَ تَبادُل أَطرَافِ الحَديثِ.. والاستِفسَارَاتِ عَنْ صحَّةِ الصَّديقةِ (هِند) ، قَالَتْ (هندُ): سَتَكْتَمِلُ فَرْحَتِي عِندَما أسمعُ تَرجمةَ وَاحِدَةٍ مَن الصَّحابيَّاتِ أَوِ التَّابعيَّاتِ ، فَفي ذلكَ شِفاءٌ للرُّوحِ والنَّفسِ ، وغذاءٌ للفِكْرِ والقَلْبِ..

ونظَرَتِ الفَتَياتُ إلى صَدِيقتهنَّ (نَاهد) وَلِسَانُ حَالِهنَّ يقولُ لَها: هيَّا فَأَنتِ صاحبةُ مَشروعِ التَّراجِمِ والسِّيرِ.. فَأَتحفِينَا مِمَّا فتحَ اللهُ عَليكِ..

لَكِنَّ والدةَ (هِنْد) أَسْرَعَتْ إلى القَوْل: ولكنِّي أحبُّ أَنْ أَنقُلَ لكُمْ ما حَفِظتُهُ مِنْ بَرنَامَجٍ تِلفزيُونيٍّ ، تَحدَّثَ فيهِ العَالِمُ عَنْ مُساوَاةِ الرَّجُلِ بالمَرأَةِ.

لَقَدْ حَدَّدَ القُرآنُ الكَرِيمُ أَنَّ المُنشأَ وَاحِدٌ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١]

واعتبرَ أَنَ المرأة سكنٌ للرجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١] .

لِذلِكَ فَللمرأَةِ الحقُّ الكَامِلُ فِي التّصرُّفِ بِنَفْسِهَا ـ ، أَيْ إِنَّها تَستَطِيعُ تَزويجَ نَفْسِهَا ، قال تعالى : ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] وَبالتَّالِي فَلَهَا الحَقُّ فِي الحَيَاةِ ، ولَهَا تَقْرِيرُ حقّها السِّياسيِّ ، ولها الحقُّ الكَامِلُ فِي التَّصرُّفِ بِمَالِهَا أَوْ بما تَأخذهُ مِنَ المِيرَاثِ.

وَهِيَ كالرَّجُلِ أَمامَ المَسؤُولِيَةِ ، قالَ اللهُ تَعالى وَهُوَ يُحدِّدُ ذَلِكَ: ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [البقرة: ٣٥ ـ ٣٦].

وَهِيَ مُسَاويةٌ لَهُ فِي الحُقُوقِ وَالواجِبَاتِ:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] .

وَنَهضَتْ (هِندٌ) مِنْ فِرَاشِهَا.. وَصفَّقَتْ بِيَدَيْهَا وَصَاحَتْ: حَيَّاكِ اللهُ يا مُحامِيَّةَ المَرأَةِ.. وجَزَاكِ اللهُ عَنِّي وَعَنْ صَدِيقَاتِي خَيرَ الجَزاءِ.. فَهَذا دَرسٌ عَظِيمٌ جِداً.

فِي خَيمَةِ أُمِّ مَعْبَد
رَضِيَ اللهُ عَنْها!!

وَأَخْرَجَتْ (ناهدٌ) مِنْ جَيْبِهَا وَرَقَةً ، وراحَتْ تَحكِي لَهنَّ حكايةً مِنْ حِكاياتِ الرَّعيلِ الأوَّلِ مِنْ هَذِهِ الأمّةِ:

فِي رِحلَةِ الهِجْرَةِ النّبويَّةِ المُبَارَكَة ، وَفِي

الطَّريقِ ما بَيْنَ مكَّةَ المكرَّمةِ والمَدينَةِ المنوَّرَةِ ، أَرادَ رسولُ الله ﷺ ومعَهُ رَفِيقُ الرِّحلةِ أَبو بَكرٍ رَضِي اللهُ عَنْهُ أَنْ يَرتَاحَا قَلِيلاً ، وتَمنَّيا أَنْ يَجِدا طَعَاماً وَشَراباً.

قَالَ أَبو بَكرٍ: يا رَسُولَ اللهِ! أَرَىٰ هُناكَ خَيْمةً بَسِيطةً..

فانطَلَقا إلى الخَيْمَةِ ، ولمَّا اقتَرَبَا مِنْهَا نَادَىٰ أَبو بَكْرٍ: مَنْ فِي هَذهِ الخَيْمَةِ؟

فَخَرَجَتِ امْرأَةٌ بَدويَّةٌ ، فرحَّبتْ بالضَّيفَينِ ، ودَعَتْهمَا إلىٰ الجُلوسِ داخِلَ الخَيْمَةِ ، وقدَّمتْ لهمَا قَلِيلاً مِنَ الزَّادِ ، ثُمَّ اعتذَرتْ لَهُمَا عَنْ قَلَّةِ الزَّادِ... ، فالسَّنةُ سنَةُ جَفَافٍ وقَحْطٍ ، ولَيسَ فِي اليَدِ حِيلَةٌ!!

لكنَّ الرَّسولَ ﷺ نَظَرَ إلى خَارِجِ الخَيمَةِ ، ثُمَّ

قَالَ: «ما هَذِهِ الشَّاةُ يا أمّ مَعْبَد؟».

فَقَالَتْ: هذهِ شَاةٌ خَلَّفَها الجَهْدُ عَنِ الغَنَمِ.

فَقَالَ الرَّسولُ صَلواتُ اللهِ عليهِ: «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟».

فَابتَسَمَتِ المَرأَةُ وَقالَتْ: وَمِنْ أَينَ لَها اللَّبَن ، وَهِيَ الضَّعِيفَةُ الهَزِيلَةُ؟!

فقامَ رسولُ الله ﷺ إلى الشَّاةِ ، ومَسحَ بِيَدِهِ ضَرْعَها ، وسمَّى اللهَ ودَعَا ، وإِذَا بِالضَّرعِ يَدرُّ لَبَناً ، فَنَاوَلَتْهُ (أُمُّ مَعبدٍ) وِعاءً ، فَحلبَ فيهِ حَتَّى امتلأَ ، فَشَرِبَ وَشرِبَ صاحبهُ ، ثُمَّ شَرِبَتْ (أُمُّ مَعبدٍ) وَهِيَ لا تصدِّقُ ما الذي يَجْرِي عِنْدَها!!

وَبعدَ قَليلٍ انطَلَقَ رَسولُ اللهِ وصَاحبهُ باتِّجاهِ المَدِينَةِ المُنوَّرةِ.

وَجَاءَ زَوجُهَا فَرآها فِي حالةِ تَعجُّبٍ

واندِهَاشٍ ، ولمَّا سَألهَا عَنْ ذلكَ ، حدَّثتهُ بمَا جَرَىٰ..

فَقالَ: لعلَّهُ صَاحبُ قُرِيش.. وَهُوَ مُحمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ.

فَمَا هِيَ أَوصَافُ الرَّجُلِ يا أُمَّ مَعْبد؟!

ثُمَّ قالَ زَوْجُهَا: فَمَا هِيَ أَوْصَافهُ؟

ورَاحَتْ (أُمُّ مَعبدٍ) تَصِفُ الرَّسولَ صَلواتُ اللهِ عليهِ ، ودونَ أَنْ تعرفَ أنَّهُ هُوَ خاتَمُ الأَنبياءِ..، فَقَالَتْ:

إِنَّهُ ظاهرُ الوَضاءَةِ ، أَبلجُ الوَجهِ ، حَسَنُ الخَلْقِ ، لَمْ تعبهُ ثَجلة ، ولم تُزره صُعلة ، وسيمٌ قَسيمٌ ، فِي عَينيه دَعَجٌ ، وفي أَشفارِهِ وَطفٌ ، وَفِي صَوتهِ صَحَل ، وَفِي عُنقهِ سَطَعٌ ، أَحورُ

أَكحلُ ، أَزجُّ ، أَقرنُ ، شديدُ سَواد الشَّعرِ ، إذا صَمَتَ علاهُ الوَقَارُ ، وإنْ تَكلَّمَ عَلاهُ البَهاءُ ، أَجملُ النَّاسِ وَأَبهاهُمْ من بَعيدٍ ، وأَحسنهُم وأَحلاهُمْ من قَريبٍ ، حُلو المَنطِقِ ، فَصلٌ ، لا نَزرٌ ولا هذر ، كأنَّ منطقهُ خَرزاتُ نَظمٍ يتحدَّرنَ ، رَبعةٌ ، لا تقحمَهُ عَينٌ مِنْ قَصرٍ ، ولا تشنؤهُ مِنْ طُولٍ ، غُصنٌ بين غُصنينِ ، فَهُوَ أَنضَرُ الثَّلاثةِ مَنْظراً ، وأحسنُهُمْ قَدْراً ، لهُ رفقَاءُ يحفُّونَ بهِ ، إذا قالَ استمعوا لِقَوْلِهِ ، وإذا أَمرَ تبادرُوا إلى أَمْرِهِ ، مَحفُودٌ مَشْهُودٌ ، لا عابسٌ ولا مُفندٍ..

وكَادَ (أَبو مَعبدٍ) أَنْ يَطِيرَ مِنَ الفَرَحِ ، فَقالَ لِزَوْجَتِهِ: وَاللهِ هذا صَاحِبُ قُريشٍ الذي ذَكَرُوا من أَمْرِهِ ما ذَكَروا.. وَيشهدُ اللهُ أنِّي آمنتُ بهِ دُونَ أَنْ أَراهُ!

فقالَتْ زَوْجَتُهُ: وَأَنا كذلكَ يا أبا مَعْبَد.

أَجلْ!

وَيشاءُ اللهُ تَعَالىٰ أَنْ يُخَلّدَ ذِكرَ (أُمّ مَعبدِ) فَلاَ تَرىٰ كِتابَ سِيرةٍ أو كتابَ شَمائِلَ أو كِتَابَ حَديثٍ نبويٍّ ، إلاّ وتَجِدُ قَولَ (أُمِّ مَعبدٍ) فِي وَصفِ رَسولِ اللهِ ﷺ مَوجُوداً فيهِ.

ويَدورُ الزَّمنُ دَورتهُ ، وتُعرفُ (أُمّ مَعْبَد) وخَيمتُها وشاتُها.. ، لذلكَ كانَ كبارُ الصَّحابةِ يَزورُونَها ، ويجلسونَ فِي خَيْمَتِهَا ، حتَّى أُمَّهاتُ المُؤمنِينَ ، فَقدْ كنَّ يَتذكَّرنَ جُلوسَ رسولِ اللهِ ﷺ عِنْدَها. وبَقِيَ الحالُ على ذَلِكَ حَتَّى أَواخِرِ خِلافَةِ عُمَر رَضيَ اللهُ عَنْهُ ، حَيثُ أَسلمَتِ الرُّوحَ إلى بارِئِهَا.. لِتَدْخُلَ في سِجِلِّ الخَالِدين..

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ